الجامعة في خضم تحديات مجتمع المعرفة: الثقافة واللغة مجالا

The University in the midst of the knowledge society's challenges: Culture and language as a field

د/شفيقة بورايو، Dr BOURAIOU Chafika (*)
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي
bouraiouchafika@gmail.com

تاريخ الاستلام:2020/02/19   تاريخ القبول:2020/06/10

الملخص:

إن القوة الرمزية للإنسان؛ هي ما يجعله رأس مال حقيقي ليس لتطور اقتصاد المعرفة في مجتمع المعرفة فقط، بل أساس كل التطورات الثقافية الأخرى، وتحتل اللغة مركز الصادرة في هذا النظام. والجامعة هي وسط ومجال كل التفاعلات الثقافية بما فيها المعرفية، لهذا من الضروري ضبط المشروع الثقافي حتى يمكننا الحديث عن تحويل وتطوير الجامعة لمجتمع المعرفة. مع التأكيد الواعي والكامل بكل آليات الابتكار والإبداع العلمي، الذي ينطلق من اللغة كوعاء للفكر ولسان حال الأمة. وقد حاولنا في هذا المقال تقديم قراءة تحليلية لتحديات النخبة الجامعية في مواجهة مشروع ثقافة المجتمع، محاولين وضع رسم مبدئي لحل الإشكال.

الكلمات المفتاحية: مجتمع المعرفة، الثقافية، اللغة، الجامعة، الأشكال الرمزية.

Abstract:

The symbolic power of a human being, It is what makes it real capital not only for the development of the knowledge economy in the knowledge society. Rather, it is the basis of all other cultural developments. Language is the center of this system. The university is the center and field of all cultural interactions, including knowledge ; That is why it is necessary to adjust the cultural project so that we can talk about transforming and developing the university for a knowledge society

With a full awareness of all mechanisms of innovation and scientific creativity; Which stems from the language of the bowl of thought and the mouthpiece of the nation. We have tried in this article to provide an analytical reading of the challenges of the university elite in

the face of the project of community culture. They are trying to draw an initial sketch to solve the problem.

Keywords: Knowledge society, culture, language; the University . Symbolic forms .

مقدمة:

إن التطور أو التقدم كفعالية إنسانية: كالتقدم العلمي، الحضاري، الثقافي...الخ. يفترض ضمنا عنصران أساسيين: التخطيط، الغاية أو الهدف المراد تحقيقه.

وهذان العنصران، هما أساس وجود الجامعات والمؤسسات البحثية بشكل عام، فهي بالإضافة إلى أنها مؤسسة لإنتاج العلم، وإحدى أهم محطات التكوين لفئة واسعة من الجيل الشاب في مساره إلى سوق العمل. لا تعتبر من منظومات التنشئة فقط، بل والتنمية الاجتماعية كذلك؛ ذلك أنها نقطة التقاء لفئات متنوّعة للمجتمع الواحد، ومتعددّة لمجتمعات وثقافات عدّة. فهي تمدّ المجتمع بالكثير من القيادات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية. ممّا يجعل الحديث عن الجامعة، هو الحديث عن مستقبل مجتمع ماّ. وإضافة لكلّ ما سبق فهي كذلك تشكل الدعم الأكاديمي للكثير من النخب في مختلف الحقول الاجتماعية، فالباحثون يلعبون دورا كبيرا في صناعة العلم وإنتاج المعرفة؛ من خلال وضع البرامج التعليمية في مختلف الأطوار، والتأسيس لهندسة الأنساق الأمنية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية...الخ.

أي كل ما يشكل تنمية الحياة الاجتماعية ومواردها. إذا الجامعة كوسط ثقافي، وكحقل مجتمع معرفة مفتوح، واللغة ليس كشكل من أشكال الهوية الثقافية فحسب، بل كآلية من آليات إنتاج وتسيير المعرفة من خلال نظامها الدلالي الرمزي. على أساس هذه الحدود النظرية والتطبيقية في آن واحد، أي الجامعة كمكان، والثقافة كحدود؛ أي هوية ثقافية، واللغة كمنتج ومسير. نطرح إشكالية: ما دور الثقافة واللغة في إنتاج وتسيير المعرفة والمعلومات في الوسط الجامعي؟

وسنحاول الإجابة من خلال مجموعة من المشكلات، التي ارتأينها كعناصر في هذا التحليل: الهوية الثقافية، الذي حاولن من خلاله تبيان طبيعة الثقافة وعلاقتها بالهوية. الهوية اللغوية، والذي طرحنا فيه أهمية اللغة الأم في بناء المعرفة في المجتمع وشروط تطور اللغة. وأخيرا عنصر مجتمع المعرفة، وهو الشكل الأمثل الذي يجب أن تصل إليه الجامعة، حتى تحقق أمال الباحثين فيها أساتذة كانوا أم طلبة من جهة، والتفاعل مع التحديات الخاصة بالمجتمع الذي تنتمي له من جهة ثانية.

استنادا إلى ما سبق، و لأن الجامعة كحقل من مجتمع معرفة يعج بالوسائط المعرفية و مفعم بالمعلومات، نستبدل مصطلح الجامعة و حتى المؤسسة بمصطلح مجتمع المعرفة ،اعتبارا لما يجب أن يكون، لأنه يحمل مفهوم مشروع اجتماعي بكل أبعاده. ذلك أن مبدأ الوعي هو أساس بنائه، و ماهية وجوده ،و هو ما يؤكده مؤرخ العلوم رشدي راشد Roshdi Rashed فهو مجتمع علمي :"واع بانتمائه إلى وحدة ،و مبني على محاور بحثية خاصة به ،بمعنى أصح تقاليد علمية يتوارثها جيل بعد جيل ،مع وجود مدارس علمية لها مسائلها ،و لها اكتشافاتها ،و لها نظرياتها الخاصة بها ."(رشدي راشد،1985،ص23) .

ولتحقيق هذا المشروع ونجاحه، تأسست منظمة المجتمع العلمي العربي (أرسكو[1])، لجعل العلم وممارساته، جزءا جوهريا من ثقافة المجتمع العربي.

1- الهوية الثقافية:

إن لفظتا الثقافة و الهوية يجتمعا في تعبير "الهوية الثقافية"، التي يمكن تناولها بطريقتين بحسب برينو سورا Bruno Saura :

الأولى: أن الهوية مرادفة للخصوصية، ومنه يأخذنا المعنى إلى: الهوية الثقافية لجماعة ما، والتي مؤداها ثقافة تلك الجماعة نفسها. بهذا المعنى فالحديث عن الهوية الثقافية لأمة ما، هو الحديث ليس فقط عن تناقضات أو حالة عدم رضا مرتبطة

بمشكلة الهوية داخل هذا المجتمع، ولكن كذلك ما يميزه ثقافيا عن باقي الأمم الأخرى. فهويته الثقافية، هي مميزات ثقافته الخاصة.

الثاني: إما أن الهوية هي مرادفة لانتماء واعي تطالب بها جماعة معينة، بما يعني أن الهوية الثقافية هي الشعور بالانتماء لثقافة بعينها، دون أن يكون هناك ترابط لدى الفرد بين عمق في الشعور بالهوية والمعرفة الخاصة بالثقافة (Bruno Saura ; 2008;ص34).

وهذا التعريف يحيلنا لمفهومين في علاقة الثقافة بالهوية: التميز الثقافي، والمقصود منه الخصوصية الثقافية لهوية امة بعينها أو شخص، و هي علاقة تطابق. والمفهوم الثاني هو الانفصال، أي أن الانتماء لثقافة ما، لا يعني بالضرورة أن تلك الثقافة تمثل هوية الأمة أو الفرد. و نجد هنا تحليل القس السويسري كارل فريتي بارث Karl Frity Barthرائد لاهوت الكلمة، في ضبطه للعلاقة القائمة بين الثقافة و الهوية في المجتمع الأمريكي بمختلف جماعاته المتنوعة ثقافيا .يؤكد و يركز على أن أفراد جماعة ما ،لا ندركهم بصورة مطلقة من خلال الانتماء الثقافي لديهم ،لأنهم هم من يضعون الدلالة لهذا الانتماء وفق نوع العلاقة التي يقيمونها بين ذواتهم و ثقافة ما ،مما يعني أن الهوية تتكون وفق بعدى الزمان و المكان .بتعبير بسيط أن الانتماء لثقافة ما ،لا يعني بالضرورة هوية خاصة ومميزة ،مثال ذلك الثقافة الأمريكية التي تنضوي تحتها هويات عدّة ،حيث أن التحدث باللغة الانجليزية لا يعني هوية أمريكية. إذا الفرد من يحدد علاقته بالثقافة.

وبهذا الفصل بين معنى الهوية و الثقافة، يجعلنا نطرح سؤال ما الثقافة؟ وهل فعلا ثقافتي لا تعبر عن هويتي؟

تختلف و تتعدد التعاريف اللغوية للثقافة بعدد القواميس و المعاجم[2] في اللغة العربية، فمثال في أساس البلاغة ،ثقف: غلام ثقف لقف ،وثقف لقف، و قد ثقف

ثقافة .و ثاقفه مثاقفة: لاعبه بالسلاح ،و هي محاولة إصابة الغرة. و في كتاب العين: ثقيف ،و قد ثقف ثقافة .و من المجاز :أدبه و ثقفه ،ولولا تثقيفك ،و ثوقيفك لما كتب شيئا ،و هل التهذيب و تثقيف إلا على يدك.(عمر بن أحمد الزمخشري،1971،ص110) .و بعدد اللغات في اللغات الأجنبية[3] ،فمثال في اللغة الانجليزية ،أكد عالما الاجتماع ألفريد كروبر Alfred Kroeber ،كلايد كلوكهون Clyde Kluckhohn سنة 1952م ، في مقال " الثقافة " [4] ،كانا قد نشراه في مجلة نقدية للتصورات و التعريفات، أن هناك حوالي 164 معنى للثقافة و الحضارة . حتى أن ريموند وليامز[5] Raymond Williams ، يعتبر كلمة "ثقافة"، من أكثر المصطلحات تعقيدا، ذلك أن معانيها نسبية فهي تتغير وفق الزمن.

و مجال الإشكالية المطروحة في هذا التحليل لا يسمح بتناول كل تلك التعاريف، لأن ما يهمنا بالتحديد هو المصطلح و المفهوم. ليزيد التعقيد في ضبطه ،لأنه يختلف باختلاف المجالات الفكرية أو العلمية : الفلسفة ،علم الاجتماع ،الأنثروبولوجية ، علم النفس ،التاريخ، السياسة ،الاقتصاد و حتى التكنولوجيا . إلى درجة أن كل علم منها يخرج الثقافة كتخصص من تخصصاته مثل: سوسيولوجية الثقافة، فلسفة الثقافة، انثروبولوجية الثقافة، علم النفس الثقافي، التاريخ الثقافي، السياسة الثقافية، الاقتصاد الثقافي، التكنولوجيا الثقافية وغيرها.

ما يعني أن الثقافة لم تعد مجرد إشكالية، بل أصبحت نظرية قائمة بذاتها. لهذا من العسير بمكان أن نجد لها تعريفا جامعا مانعا وفق مفهوم المنطق الأرسطي ،نتيجة تباين مجالات الدراسة و اختلاف إشكالاتها . عبر ستيفان قودمان[6] Stephen Gudman من خلال محاضرته في المؤتمر الموسوم " الثقافة و العمل العام "، الذي نظمه البنك الدولي ،أنه لو تم سؤال ألف شخص عن مفهوم الثقافة ،فأكيد سنحصل منهم على أكثر من ألف ضبط للمفهوم ؛نتيجة تباين و اختلاف خبراتهم الحياتية الفردية. لهذا

سنعمد على تحديد وضبط مفهوم الثقافة وفق ما نحتاجه في تحليلنا لهذه الإشكالية.

و لن نجد أفضل من تحديد أرنست كاسيرر Ernst Cassirer [7]، الذي يقول فيه أن: "الثقافة بكل تنوّعها الداخلي، من خلال مختلف إنتاجها المركب :اللغة، المعرفة العلمية، الأسطورة ،الفن و الدين. تصبح أجزاء من مركب واحد ،ناتج بجهود متعددة ،وموّجه نحو هدف واحد : هو تحويل العالم السلبي إلى مجرد انطباعات ،أي إلى عالم خالص للتعبير عن الروح الإنسانية."(Ernst Cassirer ،1953،ص81.). و هو ضبط يعاكس أشهر تعاريف الثقافة، تعريف إدوراد برانت تايلور Edward Burnett Tylor، الذي لا يفصل بين الجانب مادي -الحضارة- و الجانب الروحي -الثقافة -كما هو عند أرنست كاسيرر، فيعتبرهما واحد: "الثقافة أو الحضارة، في معناها الواسع و الإثنوغرافي ،هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن :المعرفة ،الاعتقاد ،الفن، الأخلاق ،القانون، التقليد و كل القدرات و العادات التي يكتسبها الإنسان، باعتباره فردا من مجتمع." (Edward Burnett Tylor ;1871 ; ص1) .إذا الثقافة بحسب أرنست كاسيرر، هي عالم مركب من الرموز محوره الإنسان: " و ما اللغة، و الأسطورة، و الفن و الدين. إلا أجزاء من هذا العالم .فهذه هي الخيوط المتنوّعة التي تحاك منها شبكة الرمزية .أعني النسيج المعقد للتجارب الإنسانية ، و كل التقدم الإنساني في الفكر و التجربة ،يرهف من هذه الشبكة و يقويها ." (أرنست كاسيرر،1961، ص 67.). فما الرمز؟

يعود مصطلح الرمز Symbolon من حيث الاشتقاق إلى الفعل Symballein ، الذي يعني الوصل و الربط .ذلك أن الإنسان اليوناني القديم عند سفره و تنقله لمسافات بعيدة ،يقسم أي شيء كالسهم أو عصى إلى نصفين ،يترك أحدها عند أحد أفراد أهله، أما الطرف الثاني، يبقيه معه ليجمعهما ثانية عند عودته أو لقائه بأهله ،للتعبير عن الوصل و إعادة الشمل و الاتصال .و هذا السلوك الثقافي ،نجده عند كل الشعوب القديمة تقريبا ،لأنه من صنع الأفراد . و عليه فمعنى الرمز، هو الربط بين طرفين.

كما يفرق أرنست كاسيرر بين الرمز و الإشارة، على اعتبار الثانية يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، عكس الرمز الذي يعتبره ميزة إنسانية:" الإشارات و الرموز ينتميان إلى عالمين مختلفين من عوالم الخطاب: أما الإشارة فإنها جزء من عوالم الوجود المادي، و أما الرمز فإنه من عالم المعنى الإنساني. و الإشارات (عاملة) و الرموز (دالة)، و إذا فهمت الإشارات واستعملت على ذلك النحو لها نوع من الكيان المادي الملموس، أما الرموز فليس لها إلا قيمة وظيفية."(أرنست كاسيرر،1961،ص 78)

ذلك أن الإنسان عاقل ،و ما يثبت هذه الخاصية هو جوهره الواعي: «الإنسان لا يمكن وصفه أو حده إلا من خلال وعيه."(أرنست كاسيرر،1961،ص 36) .و يقصد قدرته على التجريد و التعميم:" إن مبدأ الرمز بشموله و متانته ومدى انطباقه لهو الكلمة السحرية...، التي تبلغ قائلها إلى العالم الإنساني، أي إلى عالم الحضارة الإنسانية ،و حالما يمتلك الإنسان هذا المفتاح السحري، فإن تقدمه قدما أمر مضمون، و مثل هذا التقدم لا يعوقه أي نقص في الحواس و لا يجعله شيئا مستحيلا."(أرنست كاسيرر،1961،ص 83).و هنا لا يمكن أن لنذكر العالم الكوسمولوجي سيفان وليام هوكيينغ Hawking William Stephen[8] ، الذي أعتبره مثال قوي لعدم إعاقة الحواس للقدرة الإنسانية الرمزية .و لو تعرف عليه أرنست كاسيرر لجعله نموذج القوة الرمزية للإنسان.

فالإنسان يعيش كل حياته من خلال الرموز. إن العوامل الثقافية مثل الأفكار، المعتقدات و القيم هي التي تحدد هوية الفرد و شخصيته، و تجعله جزءا من الحياة الكلية للجماعة التي ينتمي إليها: "فقد تلفع بالأشكال اللغوية، الصور الفنية ،و الرموز الأسطورية أو الشعائر الدينية .حتى أصبح لا يرى شيئا ،و لا يعرف شيئا، إلا بوسائط من هذه الوسائل المصطنعة."(أرنست كاسيرر،1961،ص 67). و الهدف من هذه الأشكال الرمزية، هي سعيها لغاية واحدة، ذلك أن:" من صفاته ،انطباقه العام ،

شموله، وتنوّعه."(أرنست كاسيرر،1961،ص 14). من هذه الاعتبارات يتضح أن الثقافة عند أرنست كاسيرر، هي الأشكال الرمزية التي يستلزم وجودها، وجود طرفين هما: الجانب الروحي كجوهر أول، و الجانب المادي كجوهر ثاني. يظهر الأول في الرموز الثقافية المختلفة من :دين ،أسطورة ،لغة ،معتقدات ،قيم، علم، فن،...الخ. ويظهر الثاني في آثار خلقتها تلك الرموز، لتتجلى بها و من خلالها، نتاج من صنع الإنسان. وبهما يعرف المنتج أو الموضوع الثقافي، الذي يحدد من خلال المعنى والوظيفة، المرتبطان بحدود الزمان و المكان. فالهوية الثقافية بهذا المعني هي ما يميز ثقافة امة ما، ثقافيا عن باقي الأمم الأخرى. فهويته الثقافية هي مميزات ثقافته الخاصة. فالثقافة هي تجربة الإنسان بكل تنوّعاتها، وتجديداتها، و تفاعلاتها. و هنا نستحضر احد التعريفات الداعمة لموقف الخصوصية الثقافية من قلب إفريقيا توماس مكانجولا Thomas Mákanjúolá Ilésanmí»، الذي يعرف الثقافة على أنها:" الطريقة الكلية التي تستجيب بها جماعة بشرية معينة في بيئة ما .و هذا يتضمن التقاليد التي تميز هذه الجماعة ،مورثوها الثقافي الخاص بها ،المعاني ،القيم، المعايير ،الأفعال والعلاقات الاجتماعية ،المعتقدات ،القوانين، العادات و المؤسسات ،الأديان ،الطقوس ،اللغة ،الفن، الاحتفالات ،كل الحرف و التجهيزات ."(Thomas Mákanjúolá Ilésanmí; 2004; ص 7)

2- الهوية اللغوية:

تعتبر أزمة الرياضيات في بداية القرن العشرين أشهر الأزمات العلمية التي قلبت توّجه النظرية العلمية وممارساتها رأسا على عقب. فنتائج العلم تنطلق في أغلب الأحيان من عنصر نظري أو رمزي، حيث إن أغلب النظريات العلمية التي بدلت تصورات أساسية ومبدأيه في الفكر الإنساني، وغيرت مجرى تاريخ العلوم، كانت مجرد فرضيات قبل أن تصبح وقائع علمية. فلم يكن من المتصور قبل ظهور الهندسات

اللاأقليدية أن نتصور هندسة دون أشكال، حيث تحول الفكر الرياضي من منطلقاته الفكرية إلى نتائجه الرمزية.

":"اللغة هي وظيفة عامة للعقل الإنساني، والمميز الأكبر للإنسان، هو عمله أو وظيفته، فالحد الصحيح له هو الذي يستمد من هذا المفهوم. وتتضمن الوظيفة فعاليات متنوّعة منها: اللغة، الأسطورة، الدين، الفن و العلم."(أرنست كاسيرر،1961، ص 14).

و بهذا فاللغة وعاء فكر الإنسان: "المميز الأكبر للإنسان أي علامته الفارقة ،ليست هي طبيعته الميتافزيقية أو المادية ،و إنما هي عمله و هذا العمل ،أعني جهاز الفعاليات الإنسانية، هو الذي يحدد دائرة (الإنسانية) و يحتمها ."(أرنست كاسيرر،1961،ص 135)

وفي سياق قضاء الله وإرادته التكوينية، يقول الله سبحانه وتعالى :" إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (سورة يس ،آية 82) . و قد عبر الفكر الإغريقي عن هذا التصور، بأن جعل الكلمة أو اللوغوس مبدءا لعالم، ومبدأ أول للمعرفة الإنسانية في الفكر الإغريقي .و هو ما يؤكده القرآن الكريم في قوله جلا و تعالى :" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)"(سورة العلق، أية 5) . و بهذه السورة يحدد الله سبحانه و تعالى الجهة التي يتوّجه إليها الإنسان، ويتلقى عنها تصوراته ،وقيمه ،وموازينه. أي لا سبيل لفهم معنى العالم إلا بفهم معنى الكلام:" إن الفكر الرمزي ،هو الذي يتغلب على القصور الذاتي الطبيعي لدى الإنسان ،و يمنحه قدرة جديدة على أن يشكل العالم الإنساني من جديد على الدوام."(أرنست كاسيرر،1961،ص 123) فالقدرة الإنسانية، ورغباته المستمرة على تشكيل عوالم جديدة يجهلها مسبقا(المستقبل الرمزي)،تعبر عن فعالياته ،و إبداعاته المتعددة .مما يؤكد ضمنيا تنوّع وتعدد الهويات

الثقافية .و مثال ذلك في اللغات : "فقد يعبر الإنسان برموز مختلفة عن شيء واحد – كالحال في تعدد اللغات – بالرموز ،فيحرز الإنسان الكلمة السحرية التي تفتح أمامه أبواب التقدم .فقوة الفرض تتضمن حقيقة رمزية ،التي كانت هي السبيل إلى تقدم العلوم. فكثيرا ما فرض الإنسان حالات غير واقعية، فاهتدى بها إلى نظريات جديدة. ذلك هو الحال في الطبيعيات ، الرياضيات ، البيولوجية، التراجم الذاتية و في الأخلاق أيضا .فما جمهورية أفلاطون أو ما شابهها من أشكال اليوتوبيا ،إلا فروض تحمل قوة الرموز ."(أرنست كاسيرر،1961،ص 14). كما يمكن أن يكون هذا التنوّع داخل اللغة الواحدة: "فالرمز ليس شاملا فحسب و إنما هو أيضا شديد التنوّع، فأنا أستطيع أن أعبر عن المعنى الواحد بلغات مختلفة. و قد أعبر عن رأى أو فكرة في حدود لغة واحدة بمصطلحات مختلفة ."(أرنست كاسيرر،1961،ص 84).

المستقبل الرمزي أي تجاوز حدود وجوده المحدود، والماضي الرمزي المقصود من هذا المصطلح قدرة الأفراد على الخلق والإبداع. أبعد من أن تختزل في مجرد حاجة خارجية موّجهة إلى التواصل الاجتماعي.

وبهذا نضبط علاقة الهوية الثقافية باللغة، فنقول اللغة ليست شكلا من أشكال الهوية الثقافية فحسب، بل هي آلية من آليات إنتاجها وبناءها. فطبيعة العلاقة تفاعلية جدلية. ذلك أن الهوية تصور ومفهوم ذو دلالة اجتماعية، لغوية، ثقافية. فاللغة هي رمز الهوية، ذلك أنها آلية إدراك العالم الداخلي والخارجي. الذي يحول إلى عادات، تقاليد، قيم، علم، فن، قانون وسياسة...الخ.

بدليل أن الحضارات التي اندثرت في التاريخ، كان السبب في ذلك اندثار لغتها ولسان حالها.

3 مجتمع المعرفة:

ظهر مصطلح مجتمع المعرفة في السبعينيات من القرن الماضي في الأوساط الجامعية، كردة فعل لمختلف التطورات التكنولوجية التي عرفها المجتمع.و قد ظهرت قبل ذلك أنماط أخرى لبناء المعرفة و العلم وتسيرهما . وهي كالتالي:

-/ نمط العلم الكلاسيكي، الذي ظهر في القرن 17م ،و الذي يختلف مؤرخو العلوم حول بداياته ،التي تحدد ابتدءا من القرن الثامن إلى غاية بداية القرن 18م.

-/نمط العلم الحديث، تسجل بداياته مع إسحاق نيوتن و خلفائه في القرن 18م، وقد برزت فيه وحدة العلم و تعدد لغاته، فظهرت المعاهد و الجامعات، لرعاية التطورات النظرية لصالح التقنية.

-/ نمط العلم الصناعي، الذي امتاز بخاصية إنتاج واستهلاك العلم، أي تصنيع البحث، المقصود هو صناعة البحث. (رشدي راشد ،1985،ص11)

وفي كل نمط من هذه الأنماط تغير مفهوم ومدلول المجتمع العلمي أو المعرفي. فتغيرت أشكال التفاعل بين المجتمع ومنتجين المعرفة، ذلك أن المجتمع كان دائما الراعي الرسمي لإنتاج المعرفة و استهلاكها. أما في القرن الواحد والعشرين أصبحت المعرفة هي الثروة بلا منازع، حيث أصبحت كل المنافسات العالمية في كل المجلات معرفية.حيث الخبرة، الابتكار، والقدرة على الإبداع هي مصادر التحكم في تطور جميع المجلات ونموها: سياسية، علمية، اقتصادية، واجتماعية. وهنا جدال واسع حول طبيعة العلاقة القائمة بين مجتمعات المعرفة والمعلومات، لتقارب تاريخهما. الأمر الذي يؤكده فليب برنتونPhilippe Breton ، فقد ظهر مصطلح مجتمع المعلومات في عشرية سنوات 1990م،تعويضا لمصطلح أقدم منه و هو مجتمع الإعلام ،بعد الحرب العالمية الثانية من طرف نوربت واينر Norbet Wiener عام 1947م،في مؤلفه " les rapports entre Cybernétique et Société". لهذا لا يري بديالو Padioleau ،ضرورة التفرقة بين مصطلح مجتمع المعرفة و مجتمع المعلومات .لأن الأول تطور لثاني ،حيث يعرف مجتمع المعرفة

بأنه يحوي على الكثير من الأهداف :"الإنتاج ،النشر و التوزيع، استهلاك للمعارف ،للكفاءات و التطبيقات المعرفية...،المتمكن منها من طرف أفواج جماعية التي تطالب بها(البحث ،التطوير، خدمات مهنية و تقنو علمية...)، مكوّنة و مدعمة للمهارات الفردية أو الجماعية، اقتصادية، اجتماعية، و ثقافية." (Philippe Breton ، 2005، ص5).

علما أن مجتمع المعلومات، هو ذلك الذي يكون فيه المجتمع واعيا بأهمية المعلومة في جميع جوانب العمل. إذن هو موقف ذهني يسمح بالاستعمال الفعّال، المنتج وكذلك الواسع للمعلومة في جميع جوانب الحياة.(Georgette Wang ; herbert S. Dordick 1993،ص 128) .ذلك أن الابتكار الاجتماعي ضرورة إنسانية حيث كان الأفراد و لا يزالون وسيبقون، يغيرون أوطانهم و يهجرون مجتمعاتهم، لعدم توفر شروط إنتاج المعرفة، و تنمية مواردها البشرية. فالتقدم المعرفي أصبح الأكثر دقة في الحكم على تقدم المجتمع ،حيث تعتمد كفايته على مدى تقدم مختلف المؤسسات المعنية بالمعرفة. بما في ذلك مؤسسات البحث العلمي، التعليم، مؤسسات المعلومات بمختلف أنماطها، والمعنية بإنتاج المعلومات التي أصبحت من أبرز مقومات اقتصاد المعرفة ومجتمعه. (منال السيد احمد علي،2015، ص14)

فالثقافة كجوهر في مجتمع المعرفة و مجتمع المعلومات إلى جانب اللغة ،أصبح دورهما أكثر عمقا و تميزا: سياسيا، ثقافيا واقتصاديا، خاصة في نظم الذكاء الاصطناعي. حيث كثر الحديث عن مدى قدرة اللغات في التكيف مع كل التطورات المعلوماتية.فأصبحت جماعات تعمل على تطوير لغاتها، و إحياء خصوصياتها الثقافية ،و قيمها المحلية لطمس و إماتة أخرى .و هذا ما يمكن أن نلمسه في وضع النظريات اللغوية ،بناء المصطلحات العلمية ،برامج تعليم اللغة، الاستخدامات الوظيفية وكذا الإدارية للغة

،تدّوين اللغة و معالجتها حاسوبيا .أي بتعبير رشدي راشد ،توطين اللغة العربية لتوطين العلم باللغة الأم .

يعتبر جيرار دولنتي Delanty Gerard، أن الجامعة ليست هي مؤسسة مفتاح للحداثة فقط، بل و محلا تترابط فيه المعرفة، الثقافة و المجتمع. و يقيم مسألة أزمة الجامعة في علاقتها مع مسائل أخرى مثل: العولمة، عصر المعلومات، الدولة الأمة، الرأسمالية الأكاديمية، السياسة الثقافية، و تطور العلاقات بين البحث و التعليم. فمعارضة منه لفكرة ضياع الجامعة، يصر على التأكيد أن مجتمع المعرفة اليوم هو هوية جديدة للجامعة الناشئة، المرتكزة على الاتصال الهادف إلى تغيير العلاقات بين الحداثة، المعارف الثقافية، التعليم العالي و مستقبل الجامعة.

و بهذا تعتبر الجامعة هي الوسط الأمثل لتطوير الكفاءات الفردية و الجماعية ،حيث أصبح الحديث في الفترة الحالية عن المواطنة في الجامعة :" لقد أسست الجامعة لمواطنة ثقافية، و مواطنة تكنولوجية: فبالنسبة للمواطنة الثقافية فقد أدت إلى نشر التقاليد الثقافية في مجملها، و بالنسبة للمواطنة التكنولوجية فقد كانت مساهما في المجتمع المهني، و في مطالب المنظومات المهنية ،و توسيع مجال تكافؤ الفرص. " (Garard Delanty، 2001،ص 50)

كما قدم لنا غييو روشي Gio Rocher نظرة جديدة عن الجامعة ،بحكم أن مهمتها تدخل في المركب الاقتصادي ،و السياسي لكل أمة. لقد صارت الجامعة مركزية في اقتصاد المعرفة. فليست مهمتها مرتبطة فقط بتكوين إطارات سامية تتميز بالكفاءة وفق علاقتها بالاقتصاد ، بل إن وظيفتها مرتبطة لا تنفصل عن عناصر بنائية أخرى، ناتجة عن تدويل التبادلات و العلاقات الاجتماعية .لقد صارت مهمتها بصفتها منتجة، تتمثل في كونها عامل خلق ،و نشر لرأس مال معرفي .

فالجامعة بهذا المعنى وبهذه المركزية، سوف تكون في مواجهة العديد من السلطات المتضافرة التدخلات، والمعززة لقوة بعضها البعض. كالقوى السياسية، الدولية، الاقتصادية وحتى الإيديولوجية .فأهم ما يميز الجامعة الحديثة، التوحيد بين التعليم، البحث، ومنظومة معتقداتها، باعتبارها مرجعا ثقافيا محددا.

ويمكن أن نخلص في النهاية إلى مجموعة من المتطلبات كما ضبطها رشدي راشد، إذا أردنا أن تكون الجامعة مجتمع معرفة بامتياز، يحافظ على الهوية المعرفية للمجتمع مع انفتاح على العولمة المعرفية:

-/ رفض استيراد العلم والمعرفة، ذلك أن إنتاجه مرتبط بحاجات المجتمع وفق موارده البشرية المتوفرة في أحضان الجامعة.

-/ تكوين تقاليد وطنية في البحث، من خلال إنشاء مؤسسات بحثية وتكوين الأساتذة و الطلبة على البحث.

-/ العمل على نشر المعرفة العلمية في اللغة الأم، باعتبارها حاملة لكل التصورات الرمزية لثقافة الأمة.

-/ تعريب منهجي لكل أطوار التعليم، وخاصة العالي.

-/ ربط الجامعة بوسطها الثقافي في كل أبعاده: السياسية، الاقتصادية، العلمية، القانونية و الفنية...الخ.(رشدي راشد ،2008م،ص24)

الخاتمة:

إن البحث في الثقافة هو بحث في فاعليتها المختلفة والمتعددة، واللغة هي لسان حال الثقافة عموما والعلم خصوصا. فتوطينها، هو توطين للعلم والمعرفة، حتى نتمكن من مواكبة التطورات العصرية، والعمل على المحافظة على الكفاءات الوطنية. ما يتطلب

منا أكثر من دراسة لتغطية الإشكالية، وتصبح الجامعة مجتمع معرفة بامتياز لتنمية، نشر، و إنتاج المعرفة، ورمز للحرية الفكرية.

الإحالات والتعليقات

1. منظمة مستقلة غير ربحية تهتم بشؤون المجتمع العلمي، في أفق إنجاز مشروع عربي نهضوي حقيقي شامل.

2. و نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "تاج العروس من جواهر القاموس "للمرتضي الزبيدي من ص 07 إلى ص 50، " القاموس المحيط " للفيروزي آبادي من ص 04 إلى ص 124 ،" لسان العرب " لإبن منظور من ص 08 إلى ص 21 ، "أساس البلاغة " للزمخشري

3. يعود أصل الكلمة للغة اللاتينية cultura ،التي تعني رعاية الحقول أو قطعان الماشية ،و أعيد ضبطها في القرن 18م،لتفيد قطعة من الأرض المزروعة ،ثم تحول المعنى من تهذيب الأرض إلى تهذيب العقل ،ليصبح في القرن 19م،يدل على تطوير المهارات الفردية للإنسان من خلال التعليم، التربية، للوصول إلى تحقيق التنمية العقلية و الروحية للإنسان ،ليصبح في القرن 20م ،مفهوما جوهريا في علم الأنثروبولوجية ،و يشمل بذلك كل الظواهر الإنسانية مقابل الطبيعة.و لتوضيح أكثر يمكن الرجوع الى : Beneton Pierre ;Histoire de Mots ;culture et civilisation (1975) ;presses de la FNSP ;Paris. Voir aussi ;Dumont Louis ;L'individu et les cultures ;in .communications ;n 43 ;Mars 1986

4. Alfred Kroeber and Clyde Kluckhohn ;culture ;acritical review of concepts and definitions ;New York ;Randorn Hourse ;1963.

5. Raymond Williams ;Keywords ;Avocabulary of Culture and Society ;Oxford Universitypress ;new edition n2 ;NewYork ;2014.

6.ستيفان غودمان (Stephen Gudman) ،من أبرز علماء الأنثروبولوجية : الاقتصادية ،في أمريكا من أصول يهودية ،من أشهر مؤلفاته Oikos and Market ;and rituel (2015) (2015) ;Economy 's Tension(2008) ;Conversation in Colombia (1990) ; the Devise of rural economy (1978) ;Anthropology and Economy(2016) ;Relationshipes ;residence and the individua Economy (1976) .

7. فيلسوف و مؤرخ ألماني (1945/1874م) ،أحد أكبر ممثلي الفلسفة الكانطية الجديدة،و من أبرز وجوه مدرسة ماربورخ ،أشهر مؤلفاته :"الجوهر و الوظيفة"1910م،"الحرية و الشكل" 1916م،" فلسفة الأشكال الرمزية " 1923م/1929م ،" الأسطورة و الدولة " 1942م ،" الرمز و الأسطورة ، الثقافة "1979م ،" اللغة و الأسطورة " 1925م ،يعود الفضل له في فتح و توسيع نظرية المعرفة الكانطية ،بالإضافة كل إنتاجات الإنسان الثقافية ،أي انتقل من نقد العقل إلى نقد الثقافة

8. ستيفن هوكيينج Stephen Hawking ولد في أكسفورد، إنجليزا عام 1942م، وهو من أبرز علماء الفيزياء النظرية على مستوى العالم المعاصر، توفي في 14 مارس 2018م.أحد اكبر العلماء من ذوي الاحتياجات الخاصة التي عرفها عالم الإبداع الفكري و العلمي

المصادروالمراجع:

1.القرآن الكريم.

2. أرنست كاسيرر (1961): مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس، مراجعة محمد يوسف نجم، دار الأندلس، بيروت، نيويورك * .

3. رشدي راشد (1985): بناء مجتمع علمي عربي يتم بالاستناد على دروس التراث العلمي، مقابلة فكرية مع وفاء الشعراني، نقولا فارس، مجلة المستقبل العربي، السنة الثامنة، العدد الواحد و الثمانون، تشرين الثاني .

4. عمر بن أحمد الزمخشري (1971): أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، المحتوى أبب-غبي،دار الكتاب العلمية ،بيروت ،لبنان * .

5. منال السيد احمد علي (2015)، خصائص مجتمع المعرفة و شموله لمجتمع المعلومات وسياساته مدى توافق السياسة المعلوماتية الصينية للمجتمع المعرفي المصري العربي، مجلة إعلم مجلة علمية محكمة، العدد14.

6.Bruno Saura (2009) ; Tahiti Mā'ohi- culture, identité, religion et nationalisme en Polynésie française, Au vent des îles,editions tahiti

7.Ernst Cassirer (1953) ; The Philosophy of Symbolic Forms: Language, vol.1, translated by Ralph Manheim Yale University Press, United States .

8.Edward Burnett Tylor (1871) ;primitive culture : Primitive Culture: Researches Into the Development of Mythology ,in two volume ,vol 1 , john murry ,Albemar le street ,London .

9.Georgette Wang ; herbert S. Dordick (1993) ; The Information Society : A Retrospective View, SAGE Publications, london .

10.Garard Delanty (2001); Challenging knowledge: the university in the knowledge society, Society for Research into Higher Education, backingham.

11.Thomas Mákanjúolá Ilésanmí(2004) ,Yoruba orature and literature ,Obafemi Awolowo,university Press,Ltd,Nigeria.

12.Philippe Breton (2005) ;la Societé de la connaissance :la généalogie d'unedouble réduction ;revu eduction et societe ;1 ;n 15 ;45-57

13.رشدي راشد (2008م) ، الوطن العربي و توطين العلم ،مجلة الجمعية الفلسفية المصرية ،ص24.